تأملات
في
تشبيه المؤمن بالمرآة

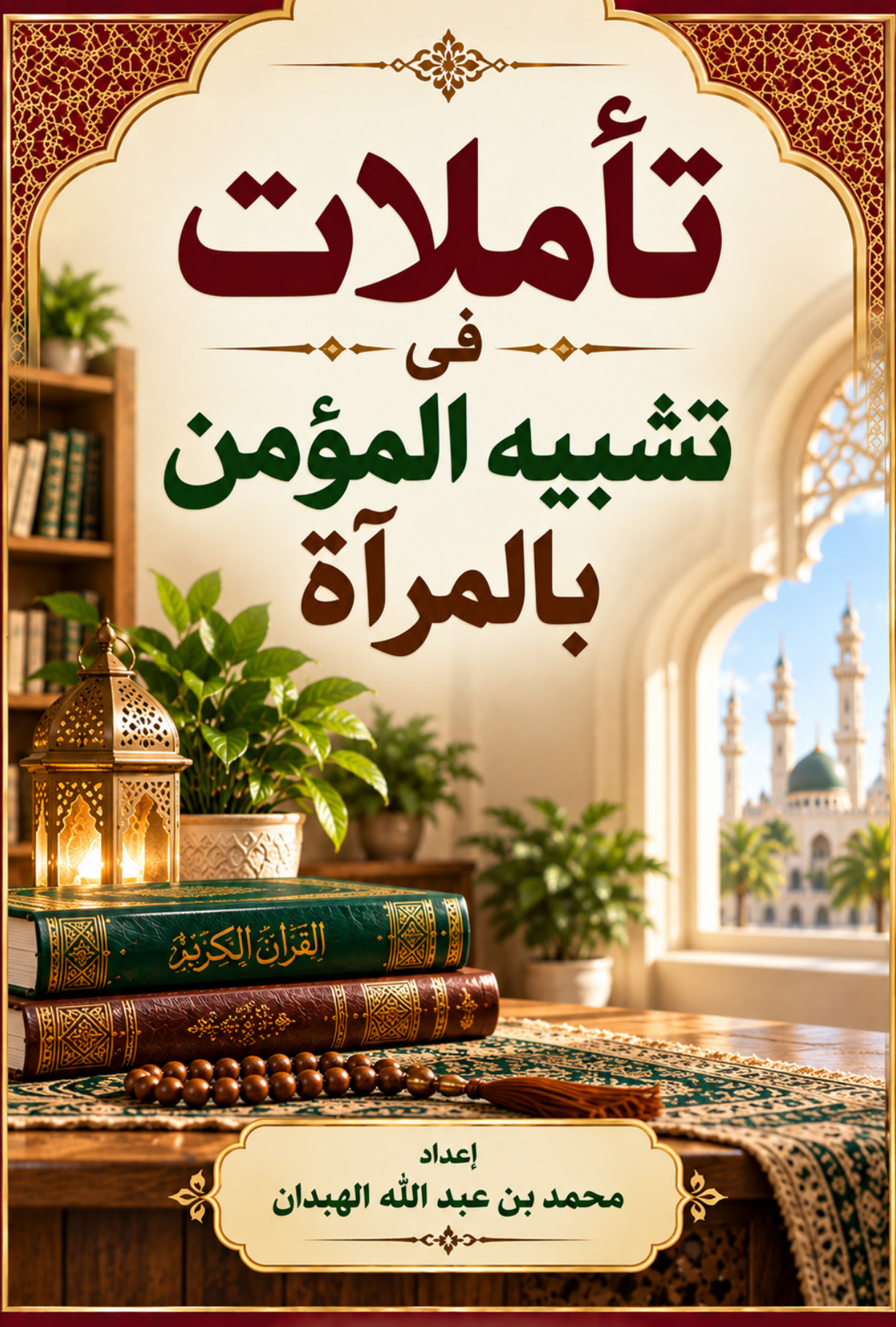

إعداد
محمد بن عبد الله الهبدان

محفوظة
جميع الحقوق

بسم الله الرحمن الرحيم

تأملات في تشبيه المؤمن بالمرآة

الحمد لله الذي زكّى الأرواح بالإيمان، وطهّر القلوب بالقرآن، وجعل في سنة نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نورًا يهدي إلى أحسن الأخلاق وأقوم السبل، وصلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهداه، أما بعد:

فإن من جوامع كلم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ التي تختصر منهجًا كاملًا في تهذيب النفوس وبناء العلاقات بين المؤمنين قوله: «المؤمن مرآة المؤمن» كلمة يسيرة في مبناها، عميقة في معناها، جمعت بين أدب النصيحة، وصفاء الأخوّة، وعدل التعامل، ورحمة الإصلاح، فهي لا تصف مجرد علاقة عابرة بين شخصين، بل ترسم منهجًا تربويًا متكاملًا يقوم على الصدق في كشف العيب، والرفق في البيان، والستر في القصد، والإخلاص في الإصلاح، ومن هنا جاءت هذه التأملات لتقف مع هذا التشبيه النبوي وقفات تدبرية، تستخرج ما فيه من لطائف المعاني، وما

يثمره في تهذيب النفس، وتقويم السلوك، وإصلاح المجتمع، حتى يكون المؤمن لأخيه عونًا على الخير، ومرآة صادقة تُريه نفسه على حقيقتها، لا لتكسره، بل ليقومه ويرفعه، نسأل الله أن يجعلنا من المتناصحين في الله، المتعاونين على البر والتقوى، وأن يرزقنا صدق القول والعمل، إنه ولي ذلك والقادر عليه.[1]

۞ أولاً : تخريج الحديث

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «**الْمُؤْمِنُ مِرْآةُ الْمُؤْمِنِ وَالْمُؤْمِنُ أَخُو الْمُؤْمِنِ يَكُفُّ عَلَيْهِ ضَيْعَتَهُ وَيَحُوطُهُ مِنْ وَرَائِهِ**».

أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٢٣٩) وأبو داود (٤٩١٨) والطبراني في «المكارم» (٩٢) والقضاعي (١٢٥) والبيهقي في «السنن» (٨/ ١٦٧) و«الشعب» (٦/ ١١٣) و«الآداب» (١١٤) وفي سنده كثير بن زيد الأسلمي، وهو متكلم فيه، فقد قواه الإمام أحمد وابن معين، وضعفه أبو زرعة وأبو حاتم والنسائي، وقال الحافظ: (صدوق يخطئ).

---

(١) وقد استفدتُ فكرة هذه المقالة من أحد المشايخ الفضلاء الذين تناولوا هذا الحديث ببعض التأملات، فجزاه الله عنّا خير الجزاء.

وقد حسّن إسناده العراقي في «تخريج الإحياء» (٢/ ١٨٢) والحافظ في «بلوغ المرام» (ص ١٩٣)، والألباني في السلسلة (٩٢٦).

۞ ثانياً : التأملات التربوية في الحديث

هذا الحديث من جوامع الكلم التي ترسم أدب العلاقات بين المؤمنين، ومن أبرز دلالاته:

١. محبة الناصح الصادق:

الإنسان يحب المرآة لأنها تدله على ما يصلحه، وكذلك المؤمن ينبغي أن يحب من يكشف له عيوبه ليصلح نفسه.

٢. سلامة الصدر بعد النصيحة:

المرآة لا تحتفظ بالأثر بعد انصراف الناظر عنها، وكذلك المؤمن لا يحمل الحقد على أخيه بعد نصحه.

٣. إصلاح الأخ كإصلاح النفس:

المؤمن يرى أخاه كأنه نفسه، فيحرص على إصلاحه كما يحرص على إصلاح صورته في المرآة.

٤. النصيحة الصادقة:

المقصود بتشبيه المؤمن بالمرآة أنه يُظهر العيب لإصلاحه لا للتعيير أو التشهير.

٥. ترك تتبع العورات:

المرآة لا تُظهر إلا ما يقابلها، وكذلك المؤمن لا يتتبع الخفايا وإنما ينصح بما ظهر له.

٦. صفاء القلب والبصيرة:

كلما كانت المرآة أنقى كان انعكاسها أدق، وكذلك القلب الصافي أبصر بالحق والخلل.

٧. التنبيه على صغار الأخطاء:

المرآة تُريك العيب الصغير قبل الكبير، وكذلك المؤمن الفطن ينبه على بدايات الخطأ قبل استفحاله.

٨. الرفق في النصيحة:

المرآة تنفع بهدوء دون أذى، وكذلك المؤمن ينصح برفق بعيدًا عن القسوة والإهانة.

٩. عدم الاستغناء عن الناصح:

كما أن المرآة لا يُستغنى عنها في معرفة العيوب وإصلاح الظاهر، فكذلك المؤمن الناصح لا يُستغنى عنه في تقويم النفس وإصلاح القلب.

١٠. العدل والإنصاف:

المرآة لا تُجمّل القبيح ولا تُقبّح الجميل، وكذلك المؤمن لا يبالغ في المدح ولا في الذم.

١١. ثبات الحقيقة:

كسر المرآة لا يغيّر الحقيقة، وكذلك رفض النصيحة لا يزيل العيب.

١٢. قصد الإصلاح لا الإسقاط:

المرآة وُجدت للإصلاح لا للإهانة، وكذلك المؤمن يقصد بنصحه إصلاح أخيه لا إسقاطه.

١٣. قيمة الناصح الصالح:

المرآة أقرب الأشياء إلى الإنسان عند إصلاح ظاهره، وكذلك الناصح الصادق من أعظم الناس نفعًا لأخيه.

١٤. الانتفاع بالموعظة:

المرآة لا تنفع الأعمى، وكذلك الموعظة لا ينتفع بها من أعرض قلبه عن الحق.

١٥. مواجهة النفس بالحقيقة:

من أعرض عن المرآة لم يرَ عيبه، ومن أعرض عن الناصح بقي على خطئه.

١٦. الهداية بيد الله:

المرآة تدل على العيب لكنها لا تصلحه، وكذلك المؤمن يبيّن الخطأ أما التوفيق فمن الله.

١٧. قرب الصالحين أعظم نفعًا:

كلما اقترب الإنسان من المرآة ظهرت له التفاصيل، وكذلك الأخ الصالح القريب أعرف بعيوبك.

١٨. قبول النصيحة وإن كانت مُرّة:

الإنسان قد يرى في المرآة ما يكرهه لكنه يقبله لصدقها، وكذلك المؤمن يقبل النصيحة النافعة.

١٩. عدم التعيير بالذنوب:

المرآة لا تسخر ممن فيه عيب، وكذلك المؤمن لا يعيّر أخاه بخطئه.

٢٠. فساد القلب يفسد النصيحة:

اتساخ المرآة يشوّه الصورة، وكذلك الهوى والحسد والكبر تفسد النصح والعدل.

٢١. حسن الظن بالمسلمين:

المرآة تعكس الظاهر فقط، وكذلك المؤمن يحمل كلام أخيه على أحسن المحامل.

٢٢. دوام المحاسبة للنفس:

كما يكرر الإنسان النظر في المرآة، يحتاج المؤمن إلى دوام المراجعة والمحاسبة.

٢٣. الأصل في النصيحة السرّ:

المرآة تُستعمل غالبًا في الخلوة، وكذلك النصيحة الأكمل تكون سرًّا لا علانية.

٢٤. الصدق بلا مجاملة:

المرآة تعكس الحقيقة كما هي، وكذلك المؤمن لا يجامل في الحق إذا ظهر له.

٢٥. القدوة أبلغ من الكلام:

المرآة لا تتكلم ومع ذلك توصل رسالتها بوضوح، وكذلك حال المؤمن الصالح قد يكون أبلغ من كلامه.

٢٦. الحكمة في اختيار الوقت والأسلوب:

المرآة إذا وُضعت في غير موضعها لم تُفِد، وكذلك النصيحة إن وُضعت في غير وقتها قد لا تنفع.

٢٧. إظهار المحاسن مع العيوب:

المرآة تُظهر الجمال كما تُظهر النقص، وكذلك المؤمن يذكر الخير والخطأ معًا.

٢٨. فتح باب التغيير:

المرآة لا تغيّر الصورة لكنها تدعو للإصلاح، وكذلك المؤمن يفتح باب التوبة والتغيير.

٢٩. النصيحة سبب للصلاح:

كما تكون المرآة سببًا في تحسين الهيئة، تكون النصيحة سببًا في صلاح الدين والقلب.

٣٠. الإخلاص في النصح:

المرآة لا تنتفع بشيء مما تعكسه، وكذلك المؤمن الناصح قد لا يريد إلا الأجر من الله.

٣١. أثر الصحبة الصالحة:

كثرة النظر في المرآة تكشف العيوب الدقيقة، وكذلك الصحبة الصالحة تهذب الأخلاق وتكشف التقصير.

٣٢. عدم إسقاط المخطئ:

المرآة تعرض الصورة ولا تحكم على صاحبها، وكذلك المؤمن ينصح دون أن يهدم أخاه.

٣٣. اكتشاف العيوب الخفية:

المرآة قد تُظهر ما لا يراه الإنسان في نفسه، وكذلك الإخوان الصادقون يكشفون العيوب الخفية.

٣٤. بقاء أثر النصيحة:

قد تزول الصورة عن المرآة سريعًا، لكن أثر النصيحة يبقى في القلب إذا قُبلت.

٣٥. إيقاظ الوعي بالنفس:

المرآة لا تغيّر الهيئة لكنها تغيّر نظرة الإنسان لنفسه، وكذلك المؤمن يوقظ أخاه لمراجعة نفسه.

٣٦. الصبر وعدم الملل من النصيحة:

كما أن المرآة لا تملّ من كثرة من ينظر فيها، ولا من تكرار إظهار العيب، فكذلك المؤمن الصادق يصبر على نصح الناس وتذكيرهم ولا يتأفف من تكرار الإصلاح.

٣٧. نور العلم يكشف العيوب:

إذا وُضعت المرآة أمام نور قوي ظهرت الصورة أوضح، وكذلك صحبة أهل العلم تُظهر العيوب بدقة.

٣٨. الاعتدال في تقويم الأخطاء:

المرآة تُظهر العيب دون تهويل، وكذلك المؤمن يضع الخطأ

في حجمه الحقيقي.

٣٩. الثبات على الحق:

المرآة لا تتغير بتغيّر الناس، وكذلك المؤمن الثابت لا يبدّل الحق مجاملةً لأحد.

٤٠. تزكية النفس تزيد البصيرة:

كلما صُقلت المرآة كان انعكاسها أدق، وكذلك تزكية النفس تزيد صفاء البصيرة.

٤١. الوقاية قبل وقوع الخطأ:

المرآة تُفيد في إصلاح الظاهر قبل الخروج، وكذلك النصيحة تمنع الخطأ قبل وقوعه.

٤٢. النصح عند الحاجة لا بالتجسس:

المرآة لا تُظهر إلا من يقف أمامها، وكذلك المؤمن لا يتكلّف كشف عيوب الناس.

٤٣. حفظ أصل الأخوّة:

المرآة لا تنتقص صاحب الصورة، وكذلك المؤمن لا يسقط أخاه مهما أخطأ.

٤٤. سوء النية يفسد النصيحة:

المرآة إذا وُضعت بزاوية خاطئة شوّهت الصورة، وكذلك سوء الفهم أو القصد يفسد النصح.

٤٥. مرارة الحق نافعة:

المرآة قد تُظهر ما يكرهه الإنسان لكنه يحتاجه، وكذلك الحق قد يكون مُرًّا لكنه دواء للقلوب.

٤٦. الاهتمام بالصغائر قبل الكبار:

المرآة لا تفرّق بين صغير وكبير في العيب، وكذلك المؤمن لا يهمل الصغائر المؤدية إلى الكبائر، بل يعتني بإصلاح الجميع، مع الموازنة بين الصغائر والكبائر بحسب المصلحة الشرعية؛ فيُقدَّم الأهم فالأهم، ويُبدأ بما يكون خطره أعظم وأثره أشد

٤٧. الحكمة شرط في النصيحة:

المرآة إذا كانت في يد جاهل أُسيءَ استعمالها، وكذلك النصيحة إذا صدرت بلا حكمة انقلبت فتنة.

٤٨. كشف العيب طريق للكمال:

المرآة تُريك ما لا تحب لتصلح نفسك، وكذلك المؤمن يكشف العيب ليعينك على الكمال.

٤٩. المؤمن مسؤول عن الصدق لا النتائج:

المرآة مسؤولة عن صدق الانعكاس لا عن تغيير الوجه، وكذلك المؤمن مأمور بصدق النصيحة لا بهداية القلوب.

٥٠. الكلمة الصادقة قد تمنع شرًّا عظيمًا:

كما قد تمنع المرآة خللًا صغيرًا قبل ظهوره للناس، كما قد تمنع نصيحة صادقة انحرافًا كبيرًا.

٥١. البداية بإصلاح النفس:

المرآة تُريك نفسك أنت، وفيه أن أعظم الإصلاح ما بدأ بمحاسبة الإنسان لنفسه.

٥٢. العلم أساس النصيحة:

إذا أُديرت المرآة عن الضوء لم تُفِد، وكذلك النصيحة إذا خلت من نور العلم والشرع.

٥٣. الرفق بلا تسلّط:

المرآة تُظهر الحاجة إلى الإصلاح دون إكراه، وكذلك المؤمن يبيّن الخطأ دون تسلّط.

٥٤. عدم التدخل في كل شأن:

المرآة إنما يُنتفع بها عند الحاجة، فلا تكون محلاً للتعلق الدائم أو التكلف، وكذلك المؤمن يحسن أن يزن تدخله في شؤون غيره بميزان الشرع؛ فلا يتدخل في كل صغيرة وكبيرة، وإنما يكون تدخله فيما تدعو إليه النصيحة، أو يترتب عليه دفع مفسدة أو جلب مصلحة، مع مراعاة الأدب وحفظ الحقوق وعدم التعدي على خصوصيات الناس.

٥٥. الستر مقصد شرعي:

المرآة لا تُظهر العيب لتُحرج صاحبه، وكذلك النصيحة الشرعية مقصدها الستر والإصلاح.

٥٦. مواجهة الخطأ بلا تبرير:

المرآة تعكس الواقع كما هو، وكذلك المؤمن لا يبرّر الخطأ بل يواجهه بلطف ووضوح.

٥٧. العدل مع المشاعر:

المرآة لا تغيّر الحقيقة تبعًا لابتسامة أو غضب، وكذلك المؤمن لا يبدّل الحق لأجل العواطف.

٥٨. الموازنة بين الإيجاب والسلب:

المرآة لا تُفسد جمال الوجه مع إظهار عيبه، وكذلك المؤمن لا ينسى محاسن أخيه عند نصحه.

٥٩. فتح صفحة جديدة للتائب:

المرآة لا تخزّن الصور القديمة، وكذلك المؤمن لا يلاحق أخاه بأخطاء الماضي إذا تاب.

٦٠. التواضع وقبول المراجعة:

المرآة تُعلّم الإنسان رؤية نقصه، وكذلك النصيحة الصادقة تربي النفس على التواضع وترك الكبر.

٦١. عدم الإساءة إلى من أساء التصرّف:

المرآة لا تسيء إلى من أساء استعمالها أو غضب مما رأى فيها، وكذلك المؤمن الصادق لا يقابل جفاء الناس وإساءتهم بمثلها، بل يبقى على خُلُقه ونصحه وإحسانه.

٦٢. خدمة الناس في أي وقت :

كما أن المرآة ينتفع بها الناس في كل وقت ولا تمتنع عمّن قصدها، فكذلك المؤمن الصادق يبذل النفع لإخوانه ويخدمهم ولا يتضجّر من حاجتهم إليه.

٦٣. عموم النفع للناس :

كما أن المرآة ينتفع بها الصغير والكبير، والذكر والأنثى، والغني والفقير، فكذلك المؤمن الصادق يعمّ بنفعه الناس جميعًا دون تمييز أو محاباة.

أخي الكريم :

يتبين من هذا التشبيه النبوي العظيم أن علاقة المؤمن بأخيه ليست علاقة مجاملة أو مجازفة، بل هي علاقة صدقٍ وإصلاحٍ ورحمة، تقوم على كشف العيب بقصد التكميل لا التعيير، وعلى النصح برفقٍ لا بفضيحة، وعلى التعاون على تزكية النفوس لا إسقاطها، كما أن المرآة لا تُغيّر الحقائق لكنها تكشفها، فكذلك المؤمن الصادق لا يبدّل الحق ولا يجامل فيه، وإنما يدلّ عليه ويُعين عليه بقدر استطاعته، مع بقاء التوفيق والهداية بيد الله

تعالى، وهذا يربّي في الأمة فقهًا رفيعًا في التعامل مع النفس ومع الآخرين، قائمًا على الصدق مع الذات، وقبول النصيحة، وإصلاح القلوب، حتى تصفو العلاقات، وتسمو الأخلاق، وتتحقق الأخوّة الإيمانية على أكمل وجه، فكل مؤمنٍ مرآةٌ لأخيه، بقدر ما صفا قلبه صدق نصحه، وبقدر ما خلصت سريرته حسن أثره وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

❊❊❊